

أضواء البيان

@ 502 @ اسمه في ذاته ، وجميع صفاته ، حيث جمع بين الخلق والتسوية ، فلكمال القدرة والتنزيه عن كل نقص . { وَاللّٰذِيْ قَدَّرَ فَهَدٰى } . أطلق هنا التقدير ليعم كل مقدور ، وهو عائد على كل مخلوق ، لأن من لوازم الخلق التقدير ، كما قال تعالى : { اِنَّ رَّسَالَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } ، وقوله : { قَدَّ جَعَلَ اللّٰهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } ، وهذه الآية ومثيلاتها من أعظم آيات القدرة ، وقد جمعها تعالى عند التعريف التام للّٰه تعالى ، لما سأل فرعون نبي الله موسى عن ربه قال : { فَمَنْ رَّبُّكُمْ مَا يَمْوِسَّى قَالَ رَبُّنَا الَّذِيْ اَعْطٰى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهٗ ثُمَّ هَدٰى } . وقد تقدم بيان عموم قوله تعالى : { الَّذِيْ خَلَقَ فَسَوَّٰى } ، وهنا قدر كل ما خلق ، وهدى كل مخلوق إلى ما قدره له ، ففي العالم العلوي قدَّر مقادير الأمور ، وهدى الملائكة لتنفيذها ، وقدَّر مسير الأفلاك ، وهداها إلى ما قدر لها ، كل في فلك يسبحون . وفي الأشجار والنباتات قدر لها أزمانه معينة في إيتائها وهدايتها إلى ما قدر لها ، فالجذر ينزل إلى أسفل والنبته تنمو إلى أعلى ، وهكذا الحيوانات في تلقيحها ونتاجها وإرضاعها ، كل قد هداه إلى ما قدر له ، وهكذا الإنسان . . .

وقد قال الفخر الرازي : إن العالم كله داخل تحت منطوق هذه الآية . . .

أما معناها بالتفصيل ، فتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه في سورة طه عند الكلام على قوله تعالى : { قَالَ رَبُّنَا الَّذِيْ اَعْطٰى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهٗ ثُمَّ هَدٰى } . { سَنُفْقَرُ تُوكَ وَلَا تَنْسٰى اِلَّا مَا شِآءَ اللّٰهُ } . تقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه معنى { نَقَرْتُكَ } في سورة طاه في الكلام على قوله تعالى : { وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ اَنْ يُّقْضٰى اِلَيْكَ وَحْيُهٗ } ، وبينه بآية القيامة { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَاجِلَ بِهِ * اِنَّ عِلٰلِيْنَا جَمْعَهٗ وَقُرْءَانَهٗ } .